



نقيب الجيش وقاضي العسكر في مصر المملوكية

أ.د/ نَعْمَةُ عَلِي مُرْسِي (١٠)

ملخص

تعددت الوظائف العسكرية في مصر المملوكية، ومنها وظيفتي: نقيب الجيش وقاضي العسكر، وهما من الوظائف المهمة في الجيش المملوكي، التي يركز عليهما الجيش ونظامه. فنقيب الجيش هو: الذي يتكفل بالقبض على من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة. والنقيب في اللغة العربية هو: العريف، ووظيفة نقابة الجيوش في المرتبة السابعة والعشرين بين الوظائف العسكرية، وكانت رتبة جلييلة في العصر المملوكي الأول. أما في العصر الجركسي، فقد صارت مصدر ظلم عظيم؛ بعد أن صار نقيب الجيش عبارة عن كبير من النقباء المعدين لترويع خلق الله تعالى، وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر، وعند طلب أحد إلى باب الحاجب.

أما عن قاضي العسكر في العصر المملوكي في مصر، فهو المختص بشئون الجند والعسكر وليس له ولاية على غيرهم. يفصلون فيما يطرأ من مشاكل بيت العسكر؛ كالخلاف على تقسيم الغنائم، وفي المبيعات، وما يرد منها بعيب، وفي الديون المؤجلة. كذلك كان قضاة العسكر من حقهم الفصل في الشكايا القائمة بين الجند والمدنيين. كما كان القضاة في الجيش يمثلون المذاهب الفقهية الأربعة؛ ولهم حق الحضور بدار العدل، ولكن مجلسهم دون قضاة المذاهب الأربعة. وجرت العادة أن يصحبهم السلطان القائم على العرش في أسفاره

(١٠) أَسْتَاذُ بَقْسَمِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ وَعَمِيدُ كَلِيَّةِ دَارِ الْعُلُومِ جَامِعَةِ الْمِنْيَا الْأَسْبَقُ جُمْهُورِيَّةِ مِصْرِ الْعَرَبِيَّةِ.

وتنقلاته وحروبه.

وقد تناولت هذه الدراسة في محورين تتفرع منهم عدة نقاط كالتالي:

أولاً: نقيب الجيش في العصر المملوكي:

١- المهام، والاختصاصات الموكلة لنقيب الجيش في العصر المملوكي.

٢- العقوبات السياسية التي تعرض لها نقيب الجيش في العصر المملوكي.

٣- أشهر نقباء الجيوش في مصر المملوكية.

٤- المنشآت العمرانية لنقيب الجيش.

ثانياً: قاضي العسكر في مصر المملوكية:

١- قاضي العسكر، والوظائف المسندة إليه في العصر المملوكي.

٢- قاضي العسكر، والخلع والهبات من السلاطين.

٣- انتشار ظاهرة الرشوة في تولية مناصب قاضي العسكر.

٤- أشهر من تولى منصب قاضي العسكر في العصر المملوكي.

٥- ديوان الجيش في العصر المملوكي.

الكلمات المفتاحية: نقيب الجيش - قاضي العسكر - المماليك - أرباب العمام - ديوان الجيش

Abstract

There were many military jobs in Mamluk Egypt, including the jobs of: army captain and military judge, which are important jobs in the Mamluk army, on which the army relied in particular. The army captain is: the one who is responsible for arresting the princes and soldiers requested by the Sultan. In Arabic, the captain is: the corporal, and the position of the army union is ranked twenty-seventh among military positions, and it was a noble rank in the first Mamluk age. In the Circassian age, it became a source of great injustice. After the army captain became a group of captains prepared to terrorize God Almighty's creation, and take their money unjustly by force, when someone requests it at the door of the chamberlain.

As for the military judge in the Mamluk era in Egypt, he was the one responsible for the affairs of the soldiers and the military and had no authority over anyone else. They decided on any problems that arose in the military house, such as disputes over the division of spoils, sales, defective returns, and deferred debts. Likewise, military judges had the right to adjudicate complaints between soldiers and civilians. The judges in the army represented the four doctrine of jurisprudence, and they had the right to attend the House of Justice, but their council was without the judges of the four doctrine. It was customary for the sultan to accompany them on his travels, movements, and wars.

This was discussed in the study in two ideas from which several points branch out as follows:

First: The army captain in the Mamluk age:

1. The tasks and responsibilities assigned to the army captain in the Mamluk age
2. Political punishments that the army captain was subjected to in the Mamluk age.
3. The most famous army captains in Mamluk Egypt.
4. Urban facilities of the army captain.

Second: The military judge in Mamluk Egypt:

1. The military judge and the functions assigned to him in the Mamluk age
2. Military judge and gifts from the sultans.
3. The spread of the phenomenon of bribery in assuming the positions of military judge
4. The most famous person who held the position of military judge in the Mamluk age
5. Military Diwan in the Mamluk age.

Keywords: Army captain- Military judge- Mamluks- Turban owners
- Army Diwan

التمهيد:

تعددت الوظائف العسكرية في مصر المملوكية، ومنها وظيفتي: نقيب الجيش وقاضي العسكر، وهما من الوظائف المهمة في الجيش المملوكي، التي يركز عليهما الجيش ونظامه، فنقيب الجيش هو: الذي يتكفل بإحضار ما يطلبه السلطان من الأمراء، وأجناد الحلقة^(١)، والنقيب في اللغة العربية هو: العريف؛ ويطلق عليه في بلاد الشام: نقيب النقباء^(٢)، وهو يُعدّ ضمّين القوم، وفي التنزيل حكاية عن بني إسرائيل "وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً"^(٣)، ونقابة الجيوش رتبة عسكرية من الرتب الجليلية. ويكون متوليها أحد الحجاب الصغار، وهو المخاطب في الإرسال إليه، وهو الملزوم بإحضار المطلوب للسلطان، أو للنائب، أو حاجب الحجاب، وغير ذلك من المهام. ولكن انحطت هذه الوظيفة وقلت الرتبة في زمن المقرئ^(٤) حتى يتبادر إلى الأذهان أن نقيب الجيش هو شخص موجود لترويع خلق الله تعالى وأخذ أموالهم بالباطل.

(١) أجناد الحلقة: يكتب أسائهم في جرائد من جيش الديار المصرية، وعدتهم أربعة وعشرون ألفاً، أما أجناد الحلقة بدمشق اثني عشر ألف (ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، بتصحيح بولس راويس، طبعة باريس، المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤م، ص ١٠٤).

(٢) محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ودار الفكر دمشق - سورية، ١٩٩٠م، ص ١٥٢.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، قدم له فوزي محمد أمين، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة - مصر، ٢٠٠٥م، ج ٥، ص ٤٥٦.

(٤) المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، مكتبة الآداب، مصر، ج ٣، ص ٣٦٢.

نقيب الجيش من أرباب الوظائف من الأمراء الخمسات، والنقيب في اللغة هو: الأمين، وقيل إن النقيب هو: ضمين القوم ويعبر عنه في بعض الممالك بنقيب النقباء، والصواب أن يقال فيه أمير نقباء الجيوش، وهو القائم على الجند في عرضهم، وإحضار من يطلب منهم، وله التطلب بالخزانة السلطانية في السفر والتكلم، وكان في العصر المملوكي الأول أمير عشرة ثم انحط عن الخمسة^(١).

وتأتي وظيفة نقابة الجيوش في المرتبة السابعة والعشرين بين الوظائف العسكرية، وكانت رتبة جلييلة في العصر المملوكي الأول -عصر ملوك الأتراك- أما في العصر الجركسي فمنذ القرن التاسع عشر / الخامس عشر الميلادي، فقد صارت مصدر ظلم عظيم، بعد أن صار نقيب الجيش عبارة عن كبير من النقباء المعدين لترويع خلق الله تعالى، وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر، وعند طلب أحد إلى باب الحاجب، وكانوا يستولون على أموال الناس بحجة حق الطريق، مما كان أحد أسباب خراب الإقليم^(٢)، رغم أن بعض نقباء الجيوش كانوا

(١) السحماوي: الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتب المعروف بالمقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء للخالدي، دراسة وتحقيق أشرف محمد أنس، مراجعة حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة - مصر، ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٤٠٠.

(٢) المقريري: المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٣٦٢؛ أحمد عبد الرازق أحمد: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك - دراسة عن الرشوة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ١٩٧٩م، ص ٦٢؛ وعلى الواحد من النقباء إذا جهز في طلب أحد، الرفق بمن طلبه، وحرام عليه أن يزعجه ويرعبه، فإن هو فعل ذلك، فهلك أحد في الدار وكثيراً ما أجهضت حامل جنينها أو ارتحفت واحد من الصبيان فهلك، فقد أوجب عليه بعض العلماء القصاص (ابن طولون الصالح): نقد الطالب لزغل المناصب، حققه محمد أحمد دهمان وخالد محمد دهمان، راجعه نزار أباطة، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ١٩٩١م، ص ٧٧.

على درجة من التدين. ويفهم ذلك من ما ذكره ابن إياس^(١) من أن الشرفي يونس بن الأقرع نقيب الجيوش المنصورة حج بيت الله الحرام في شوال ٩١٧هـ/ يناير ١٥١٢م، في عهد السلطان الأشرف قنصوة الغوري^(٢).

ويُعد نقيب الجيش الساعد الأيمن لناظر الجيش^(٣) في الديار المصرية وناظر الجيش في البلاد الشامية، فناظر الجيش هو: الذي تركز مهمته في التحدث في أمر

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٨٣م، ج ٤، ص ٢١٧.

(٢) قنصوة الغوري: وتكتب قانصوه الغوري، هو الأشرف قنصوة من ببردي الغوري الأشرفي، وهو السادس والأربعون من ملوك التُّرك والعشرون من ملوك الجراكسة، وهو من ممالك الأشرف قايتباي ومن عتقائه، فصار من جملة المماليك الجمدارية، ثم بقي خاصكياً، ثم قرر في كشف الوجه القبلي ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م بواسطة الأمير قانصوة خنساءة، وفي عهد السلطان جان بلاط استقر في الدوادارية الكبرى والوزارة والاستادارية، تولى السلطنة في شوال ٩٠٦هـ/ مايو ١٥٠١م، وهو الذي خرج بعساكره والخليفة والقضاة والأكابر، ووصل إلى دمشق ثم توجه إلى حلب، ونزل عند مرج دابق، عندما سمع بوصول المظفر سليم شاه ابن عثمان ملك الروم، وانتهى الأمر بإنزال الهزيمة بقنصوة الغوري في ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م (ابن سباط: صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس- لبنان، ١٩٩٣م، ج ٢، ص ٩٢٣، ٩٣٥- ٩٣٦؛ ابن إياس: المصدر السابق والجزء، ص ٢-٣).

(٣) ناظر الجيش هو: الذي من حقه النظر في أحوال الأمراء والجند وتجريد من يرى فيه المصلحة والكفاءة والقدرة، بالإضافة أن عليه توزيع التجريدات على حسب مصلحة المسلمين (السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وأبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٣٣)؛ ومن نظار الجيش في الديار المصرية: الفخر محمد بن فضل الله، في عهد الناصر محمد بن قلاوون (المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة- مصر، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٣١- ١٣٢)؛ والقاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب في عهد السلطان الناصر فرج،

الجيش وضبطها، وهو المشرف على أفرادها، وهي من أقدم الوظائف وأحسنها، وعليه تجري الأمور كلها في شئون الجيش والعسكر^(١)، فمن حق ناظر الجيش حفظ الأمن والاستقرار في البلاد داخليًا وخارجيًا؛ لذا وجب عليه ترتيب منازل الجيش على قدر طبقاتهم، وضبط مقادير إقطاعاتهم^(٢)، ورعاية مبادئهم وأوقاتهم. ومعظم هذه الأمور معذوقة بناظر الجيش، الذي نطاقه جميع أحوال المملكة على ما

الذي تقرر للنظار في ٨٠٥هـ/ ١٤٠٣م (ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل في ذيل الدول، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت- لبنان، ٢٠٠٢م، ق ٣، ج ١، ص ٩٠)، كذلك القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل في عهد كل من السلطان الأشرف برسباي والسلطان الظاهر جقمق (ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٩٩٠م، ج ١، ص ١٤٣)؛ أما عن أشهر من تولى منصب ناظر الجيش في دِمَشْق القاضي شمس الدين بن مشكور والذي عزل في شعبان ٧٩٦هـ/ يونيو ١٣٩٤م، بابت الأختاني، الذي سعى بالمال ليصل لهذه الوظيفة (ابن حجي: تاريخ ابن حجي، ضبط النص وعلق عليه أبو يحيى عبد الله الكندري، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج ١، ص ٣٦، ٦٥)؛ كذلك القاضي علم الدين زرق بن الكويز الذي تولى نظارة الجيش في دِمَشْق مرتين في سنة ٨١٢هـ/ ١٤١٠م، وفي سنة ٨١٤هـ/ ١٤١٢م (ابن حجي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٤١، ٨١٨)؛ كما استقر في عهد المؤيد شيخ المحمودي القاضي صدر الدين بن العجمي في نظر جيش دِمَشْق واستمر عدة سنوات حتى سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م (العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، حققه فهم محمد شلتوت، راجعه محمد مصطفى زيادة، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة- مصر، ١٩٩٨م، ص ٣٢٣).

^(١) ابن كنان الصالح: حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، ١٩٩٠م، ص ١٧٣.

^(٢) إن الإقطاعات الزراعية التي توزع على الأمراء لم تكن متساوية، ويمكن يكون إقطاع أمير موزع بين عدة أماكن في البلاد

(Poliak: Some Notes on the Feudalism system of the Mamelukes, (London, 1937), P.104).

يصدر منه ويرد إليه^(١)؛ لذا استدعى منصب ناظر الجيش وجود معانين له في تسيير شئون الجيش وإقطاعاته الزراعية، وأرزاق الجند، ورواتبهم، ومن هنا ظهر منصب نقيب الجيش، لمعاونته من مهامه.

أما عن قاضي العسكر في العصر المملوكي في مصر، فهو المختص بشئون الجند والعسكر وليس له ولاية على غيرهم. يفصلون فيما يطرأ من مشاكل بيت العسكر كالاخلاف على تقسيم الغنائم، وفي المبيعات، وما يرد منها بعيب، وفي الديون المؤجلة^(٢)، كذلك كان قضاة العسكر من حقهم الفصل في الشكايا القائمة بين الجند والمدنيين^(٣)، كما كان القضاة في الجيش يمثلون المذاهب الفقهية الأربعة، ولهم حق الحضور بدار العدل، ولكن مجلسهم دون قضاة المذاهب الأربعة، وبذلك جرت العادة أن يصحبهم السلطان القائم على العرش في أسفاره وتنقلاته وحروبه^(٤).

وإذا نظرنا إلى وظيفة قاضي العسكر، فهي من الوظائف الدينية الجليلة، والتي استحدثها السلطان الناصر يوسف صلاح الدين الأيوبي في مصر في الدولة

(١) ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ١٠٣.

(٢) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ١٦١.

(٣) ابن حجر العسقلاني: رفع الأصر عن قضاة مصر، تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد المهدي أبو سنة ومحمد إسماعيل الصاوي، مراجعة إبراهيم الأبياري، د.ت، ج ٢، ص ٣٣.

(٤) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق دوريتاكر أفويسكي، طبعة المركز الإسلامي للبحوث، بيروت - لبنان، ١٩٨٦ م، ص ١٠٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المالكي في مصر والشام، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٩٤ م، ص ٣٧٣.

الأيوبية بعد إسقاط حكم الفاطميين^(١)؛ وبناء على ذلك فقد وضع لهذه الوظيفة عدة شروط لا بد أن تتوفر للذي يتولاها منها: أن يكون على علم تام بما يتصل بالمسائل الشرعية، وتقسيم الغنائم، ويكون له مستقر معروف في معسكر الجيش، حتى يسهل على الجنود الوصول إليه، هذا إلى جانب أنه لا بد لقاضي العسكر أن يتخذ كاتباً لتسجيل أحكامه، مع السماح له باتخاذ الشهود العدول من الجنود أنفسهم^(٢).

ويرجع تولية قاضي العسكر إلى السلطان نفسه، وله مراسيم معينة مصحوبة بذلك من أهمها إعلان توليته على الملأ، فيشق الشوارع من القلعة في موكب حافل، ويلبس خلعة القضاء محاطاً ببطانة من الفقهاء والشهود^(٣)، وفي دمشق على قاضي العسكر أن يلبس الخلعة في المدرسة العادلية الصغرى، ويتجه إلى دار السعادة^(٤).

هذا إلى جانب أن ملابس قاضي العسكر والقضاة الأربعة لها سمة خاصة بهم، منها العمامة؛ لذا أطلق عليهم اسم: أرباب العمام أو المتعممين^(٥).

استخدمت القلنسوة من ضمن ملابس القضاة^(٦)، مع التأكيد على أن يكون لون ملابس القاضي اللون الأسود -رمز المذهب السني- فيما عدا في فصل

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٧.

(٢) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٦٢.

(٣) عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة في نظم البلاط ورسومه، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - مصر، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٩٦-٩٧.

(٤) ابن حجي: تاريخ ابن حجي، ج ٢، ص ٧٠٤.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٣.

(٦) ل م ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، مراجعة عبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، د. ت، ص ٨٩.

الصيف، فيتم تغيير لون الثياب للون الأبيض، ويكون نوع الملابس من الصوف وليس من الحرير، دلالة على التقوى والورع، وعلى رأسه عمامة كبيرة شاشية يترك فيها طرف طويل^(١)، ويرتدي قاضي العسكر فوق ملابسه "دلقا" له أكمام متسعة، وهي مفتوحة فوق الأكتاف بغير فتحة خلفية، وهذا الدلق مسترسل حتى القدمين^(٢)، كما يلبس الطرحة^(٣) وهي: تشبه الطيلسان المقور الصلب ويتدلى على الظهر حتى الكعبين، وفي رجليه ينتعل الخفاف من الأديم^(٤)، وهو لا يركب إلا البغال، التي لها سروج نفيسة غير محلاة بشيء من الفضة موضوعة على كسوة من الصوف تغطي كل جسم البغل حتى ذيله، أما اللجام فهو ثقيل الوزن بمعادنه^(٥). وسوف أتناول كلا الوظيفتين بشيء من التفصيل:

أولاً: نقيب الجيش في العصر المملوكي:

١- المهام والاختصاصات الموكله لنقيب الجيش في العصر المملوكي:

من أولى المهام الموكله إلى نقيب الجيش في الديار المصرية: التزامه بإحضار من يطلب السلطان أو كبار الأمراء والحجاب^(٦) من المخاطبين في الإرسالية إليه،

(١) عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج ١، ص ٩٦.

(٢) ل م ماير: الملابس المملوكية، ص ٩١.

(٣) الطرحة: كان يتميز بها القاضي الشافعي والقاضي الحنفي، فهي تستر العمامة وتسدل على ظهرها (محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٠٧).

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٤٤.

(٥) عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج ١، ص ٩٦ - ٩٧.

(٦) الحاجب: هو أمير وظيفته أن ينصف بين الأمراء والجند، تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب، وإليه تقديم من يعرض ومن يرد وعرض الجند وما ناسب ذلك (سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشَّام، ص ١٤٤)؛ وتُعد وظيفة الحجوبية من الوظائف القديمة،

فعلى سبيل المثال في عهد السلطان الظاهر برقوق^(١)، عقد لنقيب الجيش في تلك الفترة أن يُحضر غريمه، وكان ذلك في مجلس الأمير يلغا الناصري اليلغاوي الأتابكي^(٢)، أما عن غريمه فكان يلغا السالمي^(٣)، فكان إحصار المطلوبين من مهام نقيب الجيش، وفي هذا الصدد طلب الأمير يلغا الناصري من السلطان أن يعقد مجلساً له ولغريمه يلغا السالمي بحضور القضاة الأربعة وشيخ الإسلام، فما

وكانت تُسمى: القيادة، وكان الحاجب يُسمى: قائد الجيش، أي يعرض الجيش (ابن طولون الصالح): نقد الطالب لزغل المناصب، ص ٧٥).

(١) الظاهر برقوق: برقوق بن أنص بن عبد الله الجركسي العثماني، كان أول ملوك الجراكسة بؤصر، وهو من قبيلة يقال لها "كسا"، وهي من قبائل جبلة بن الأيهم بن الحرث الأعرج من قبيلة بني غسان (ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٣١٢)؛ أخذ برقوق من بلاد الجركس وبيع ببلاد القرم، فأحضره التاجر: خواجه فخر الدين عثمان بن مسافر إلى القاهرة، فاشتره منه الأمير الكبير يلغا الخاصكي، واسمه حينئذ الطنبغا، وأعتقه وجعله من جملة مملوكيه الأجلاب، فُعرف برقوق العثماني، وقيل إنه سُمي: برقوقاً لتتوء في عينيه، فلما قتل يلغا، سار برقوق للكر، واتصل بخدمة الأشرف شعبان، وخدم الأمير طشتمر العلاءي مدبر المملكة (المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٣٩١ - ٣٩٢، ابن تغري بردي: الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهم محمد شلتوت، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، ١٩٩٨م، ج ١، ص ١٨٨؛ مؤرخ مجهول: تاريخ الملك الأشرف قايتباي، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٥٥٤ح، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية صيدا وبيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ٨٢ - ٨٣).

(٢) يلغا الناصري اليلغاوي الأتابكي: هو نائب حلب، وأمير التركمان وأخوه هو إبراهيم، توفي في ٧٩٣هـ / ١٣٩١م (ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ج ١، ص ٢٩٨).

(٣) يلغا السالمي: هو يلغا بن عبد الله السالمي الظاهري برقوق، الأمير سيف الدين، أبو المعالي الفقيه الصوفي الحنفي، الوزير الاستادار المشير. كان له أحوال في كثرة التلاوة والعبادة، والظلم والعسف، مات خنقاً بالإسكندرية في ١٧ جماد الثاني ٨١١هـ / ١٥ نوفمبر ١٤٠٨م، وعمره ثلاثين عام (ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ٢، ص ٧٩٤ - ٧٩٥).

كان من نقيب الجيش إلا أن أحضر السالمي لمجلس السلطان في ٨ رجب ٧٩٧هـ/ ٦ مايو ١٣٩٥م^(١).

كذلك في عهد الظاهر برقوق طُلب من نقيب الجيش القبض على ممالك الأسياد قائلاً له: "در على ممالك الأسياد واقبض عليهم أجمعين"^(٢)؛ لذا نزل نقيب الجيش، وأحاطهم في اصطبلاتهم، فقبض في ذلك اليوم على خمسة وستين مملوكًا، وحبسهم في خزانة شمائل^(٣) وقيدهم^(٤).

وجدير بالذكر أن الظاهر برقوق كان قبل تولية السلطنة أثناء عمله أتابك للعساكر^(٥) قد رسم لنقيب الجيش أن يدور على الأمراء المقدمين بأن يطلعوا

(١) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٧٠م، ج ١، ص ٤٠٩.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٩.

(٣) خزائن شمائل: هذه الخزانة كانت بجوار باب زويلة على يسار من دخل منه بجوار السور، عُرفت بالأمير علم الدين شمائل والي القاهرة أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظرًا، يحبس فيها من وجب عليه القتل أو القطع من الشراق، وقطاع الطريق، ومن يريد السلطان إهلاكه من الممالك، وأصحاب الجرائم العظيمة، وكان السجن بها يوظف عليه والي القاهرة شيئًا يحمله من المال في كل يوم (المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٣٠٥).

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٩.

(٥) أتابك العسكر: الأتابك أو الأتابك كلمة تركية تتكون من لفظين "أنا" بمعنى: أب، "وبك" بمعنى: الأمير، وهي تعني: الأب الأمير، وقد أطلق على الأتابكة في العصر المملوكي: أتابك العساكر، حيث أصبح غالبيتهم من القادة العسكريين، كما يطلق عليهم اسم: الأمير الكبير، وهو من الأمراء المقدمين وهم: مقدم على ألف جندي حلقة، ولأجل ذلك يُسمى: أمير مائة مقدم على ألف، وتندق على بابه ثمانية أحمال طبلخاناه وطبلان دهل وزمران وأربعة أنقرة (النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية

بالشاش والقماش، ثم جلس بالحراقة التي بباب السلسلة، وأرسل خلفه الخليفة العباسي في القاهرة وهو: محمد المتوكل على الله، فأحضر وأحضر معه القضاة الأربعة، وهم: قاضي القضاة الشافعي: بدر الدين محمد أبي البقا السبكي، وقاضي القضاة الحنفي: صدر الدين محمد بن منصور، وقاضي القضاة المالكي: جمال الدين محمد بن خير السكندري، وقاضي القضاة الحنبلي: نصر الله بن محمد العسقلاني، وأحضر معهم القاضي كاتب السر: بدر الدين محمد بن فضل الله العمري، فلما تكامل المجلس ممن طلب برقوق حضورهم من نقيب الجيش، عرض عليهم الأتابك خلع وعزل السلطان الملك الصالح أمير حاجي^(١) من السلطنة، وتولى عوضه الأتابك برقوق^(٢).

العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ١٩٩٠م، ج ٣٠، ص ٤١٧؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج ٢، ص ٤٤؛

Aylon: Studies on the Structure of the Mamluk Army in Bulletin of School of Orient and African Studies, (Gsoos, III, 1954), PP. 203-228.

^(١) الصالح أمير حاجي: هو الصالح حاجي بن الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، تولى السلطنة بعد موت أخيه المنصور علي في ٢٤ صفر ٧٨٣هـ / ٢٧ مايو ١٣٨١م، وكانت مدة مملكته سنة ونصف وخمسة عشر يوماً، خلفه المقر الأتابكي برقوق، ثم أعيد إلى السلطنة ثانياً بعد عزل برقوق في جماد الثاني ٧٩١هـ / يونيو ١٣٨٩م، ولزم داره بعد خلعه المرة الثانية، وتوفي الصالح في شوال ٨١٤هـ / يناير ١٤١٢م (ابن تغري بردي: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة"، نسخة مصورة من موقع الوراق، [www. Alwarraq.com](http://www.Alwarraq.com)، ص ٩١-٩٢).

^(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٣١٠.

ومن المهام الموكلة لنقيب الجيش مهمة فض النزاع بين المتخاصمين، كما حدث في عهد السلطان الظاهر جقمق^(١) في ٨٥١هـ / ١٤٤٧م، عندما قام نقيب الجيش بدورٍ بارزٍ في فض النزاع وحل المشاكل بين نور الدين بن علي بن تقي الدين ابن محمد بن الفاوي الجوهري، الذي شكى إلى السلطان من جاره: برهان الدين البقاعي، فكان جل الأمر على يد نقيب الجيش^(٢).

وكان من أهم مهام نقيب الجيش مهمة اصطحاب المغضوب عليهم إلى القاضي المختص بنظر أمورهم لسماع شكواهم ومعرفة بينهم، مثلما حدث في عهد السلطان الظاهر جقمق عندما رسم للأمير ناصر الدين بن أبي الفرج نقيب الجيش بأن يأخذ السفطي، ويذهب به إلى بيت قاضي القضاة الشافعي لسماع سبب إكراهه لقاسم الكاشف في بيع الحمام، فتوجه السفطي وذكر أن له دافعاً، إلا أن الحكم جاء بأخذ السفطي إلى حبس المقشرة^(٣)، فحبس مع أرباب الجرائم، ولو ظفر به العوام يومئذ لقتلوه في الطريق قبل أن يصل إلى المقشرة^(٤).

(١) الظاهر جقمق: هو سيف الدين أبو سعيد محمد جقمق العلاي الظاهري، هو الرابع والثلاثون من ملوك التُّرك، والعاشر من ملوك الجراكسة، اتصف بأنه كان خيراً، كريم اليد، سخي النفس (ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٩٨-١٩٩).

(٢) السخاوي: التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة- مصر، د.ت، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) حبس المقشرة: هذا السجن بجوار باب الفتوح فيما بينه وبين الجامع الحاكمي، كان يقشر فيه القمح ومن جهلته برج من أبراج السور على يمينه الخارج من باب الفتوح، استجد بأعلاه دور ظلت به إلى أن هدمت خزائن شمائل فعين هذا البرج والمقشرة كسجن، وهدمت الدور التي كانت هناك في ربيع الأول ٨٢٨هـ / فبراير ١٤٢٥م وأصبح البرج والمقشرة سجنًا، ونقل إليه أرباب الجرائم، وهو من أشنع السجون وأضيقها (المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٣٠٦).

(٤) ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج ١، ص ١٧٦.

ومن ضمن مهام نقيب الجيش واختصاصاته أنه مختص بأخذ من يؤمر بالترسيم عليه، سواء أمير أو من الجنود، فنقيب الجيش هو الذي يرسم عليهم، فعلى سبيل المثال في عهد السلطان الأشرف قايتباي^(١) في ربيع الأول ٨٧٩هـ/ يوليو ١٤٧٤م، تغير خاطر السلطان على الأمير قانصوه الخسيف الأينائي -أحد مقدمي الألوف- فرسم لنقيب الجيش بأنه يتوجه إلى داره ويخرجه منفياً إلى دِمِيَّاط، وبذلك توجه النقيب وأخرجه من يومه بأسوأ أسلوب، فكثير القال والقليل بسبب ذلك^(٢).

وبناء على ما سبق فإن من اختصاصات نقيب الجيوش: مصاحبة المخلوعين أو الأمراء المغضوب عليهم، أو المحبوسين من السجون إلى البلاط السلطاني، أو العكس يصحبوهم حيث يتم سجنهم في الأماكن المعدة لذلك، أو إلى أماكن نفهم خارج القاهرة.

وفي ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م أوكل إلى نقيب الجيش مهمة التحقيق مع الطغاة، عندما أمر السلطان عثمان بن جقمق نقيب الجيش: محمد بن أبي الفرج أن ينزل إلى المدني ويأخذه بأمر السلطان إلى مجلس الشرع بالصالحية ليدعي عليه عند القاضي

^(١) الأشرف قايتباي: هو الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين قايتباي المحمودي الظاهري، هو الحادي والأربعون من ملوك التُّرك والخامس عشر من ملوك الجراكسة، أصله من الجراكسة جلبه الخواجه محمود في ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م، فاشتراه الأشرف برسباي، وأنزله في الطباقة، وصار من جملة المماليك الكتابية، ولما تسلطن العزيز يوسف، استمر في منصب الكتابية، ولما تسلطن الظاهر جقمق اشتراه فظل في الرق. حتى أخرج له خيلاً، وصار جمداراً أنعم عليه الأشرف إينال بإمرة عشرة في ٨٦٢هـ/ ١٤٥٨م، وجعله الظاهر خشقدم أمير طبلخاناه وجعله الظاهر يلبي رأس نوبة النوب ثم أتاك العسكر، ثم وقع الاتفاق بين الأمراء على سلطته فبايعوه (ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ٣-٤).

^(٢) ابن إياس: المصدر السابق والجزء، ص ٩٦.

المالكي، مع التأكيد على ضرورة سحبه وجره وصفعه إن امتنع، حتى يدعن، فأخذه نقيب الجيش ماشياً إلى حبس الرحبة، بعد أن عرض على القاضي ناصر الدين بن المخلطة نائب المالكي^(١).

وعلى ذلك فإن نقيب الجيش لابد أن يكون حاضراً وقت تنفيذ العقوبة على المحكوم عليهم، مثلما نجد في ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م، عندما عوقب زين الدين يحيى الاستادار^(٢) وتم عصره بالمعاصر وضرب على سائر أعضائه، إذ حضر الناصري محمد بن أبي الفرج نقيب الجيش هذا، وقد ألزمه بالحضور السلطان المنصور عثمان^(٣).

وفي حالة غضب السلطان أو حقن على شخص معين فإنه يأمر نقيب الجيش بالقبض عليه في الحال، مثلما يقابلنا في عهد الأشرف قايتباي عندما حقن على قاضي القضاة الحنفية، فأمر نقيب الجيش بالقبض عليه وإحضاره في المجلس العام، الذي

(١) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٢٠٥.

(٢) الاستادار: هو المشرف على قصور السلاطين وبيوتاتهم، أي المتكلم في إقطاعات السلطان، أو الأمراء مع الدواوين والفلاحين. والاستادار لفظ مركب من كلمتين فارسيتين إحداهما: إستد بكسر الهمزة ومعناها الآخذ، والثانية دار بمعنى: متولي، ومعنى ذلك أن الاستادار هو: المتولي لأخذ المال (السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، ص ٢٦؛ ابن كنان الصالحى: حقائق الياسمين، ص ١٢٠).

(٣) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج ٢، ص ٥٤٥؛ السلطان المنصور عثمان: هو المنصور أبو السعادات فخر الدين عثمان بن الملك الظاهر جقمق، الخامس والثلاثون من ملوك التُّرك والحادي عشر من ملوك الجراكسة، بوع بالسلطنة في حياة والده بعهد منه، في محرم ٨٥٧هـ/ يناير ١٤٥٣م، وكان له من العمر حينئذ تسع سنوات، وأمه رومية الجنس، تلقب بالملك المنصور (ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٢، ص ٣٠١).

يتواجد فيه العديد من الشخصيات البارزة مثل القضاة الأربعة الذين كانوا حاضرين المجلس لتهنئة السلطان ببداية الشهر الجديد^(١).

كذلك من مهام نقيب الجيش تنفيذ أحكام السلاطين والقضاة على الأمراء المغضوب عليهم والمحكوم عليهم بالنفي خارج القاهرة، ففي ربيع الثاني ٩١٢هـ/ سبتمبر ١٥٠٦م، في عهد السلطان قنصوة الغوري قام أحد الشخصيات البارزة وهو: الأمير ماماي الداودي بضرب شخص من التجار، فلما ضربه سال دمه، فطلع التاجر شاكيًا إلى السلطان؛ فرسم لنقيب الجيش بالقبض عليه، وأن ينفيه إلى الواح-الواح- بعد أن ضربه^(٢).

كذلك نجد في ٩١٣هـ/ تغير خاطر السلطان قنصوة الغوري على ابن بنت جمال الدين؛ فسلم إلى نقيب الجيش، واستمر في الترسيم، وفرض عليه مبلغ عشرة آلاف دينار، حتى باع موجوده كله ولم يوف بهذا المبلغ؛ لذا رسم عليه النفي إلى الواحات وجرت عليه شذائد ومحن كثيرة^(٣).

ومن اختصاصات نقيب الجيش النداء على الجند والعسكر بتجهيز أنفسهم للعرض أو للتجريدة العسكرية عند بداية الحروب؛ لذا كان عليه أن يرسل نقيب أجناد الحلقة، الذين كانوا تحت أمرته إلى القاهرة والنواحي المختلفة؛ لتجميع الجنود وعليه إرسال البريد إلى كافة مناطق الديار المصرية^(٤).

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ٢٣٠.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤، ص ٩٨.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق والجزء، ص ١٢٤.

(٤) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، عني بتحريه نصه قسطنطين زريق، المطبعة الأميركانية، بيروت- لبنان، ١٩٣٦م، مج ٩، ص ٥.

كذلك من اختصاصات نقيب الجيش الوقوف بين يدي السلطان أو الأتابك الكبير أثناء ما يقوم به كاتب السر^(١) بقراءة القصص، كما حدث في ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م في فترة سلطنة السلطان ططر^(٢)، عندما قعد كاتب السر: القاضي كمال الدين بن البارزي على الدكة وقرأ عليه القصص، ووقف نقيب الجيش ووالي القَاهِرَة والحجاب بين يديه، وحكم بين الرعية ورد المظالم، وساس الناس أحسن سياسة^(٣).

٢- العقوبات السياسية التي تعرض لها نقيب الجيش في العصر المملوكي:

مما لا شك فيه إن نقيب الجيش تمتع بمكانة كبيرة مميزة في العصر المملوكي وكان من أمراء العشرات^(٤) ثم انحطت منزلته فصار في العصر المملوكي الثاني أمير

(١) كاتب السر: أو كاتم السر من أرباب الوظائف الديوانية (السحماوي: الثغر الباسم، ج ١، ص ٤٥٠)؛ ومنصب كاتب السر وظيفة للتوقيع عن الملك، والاطلاع على أسرارها التي بها يكاتب وعنه تصدر التواقيع بالولايات والعزل، ومن حقه إنهاء القصص إلى الملك وتفهمه إياها، فعلى كاتب السر التلطف في تفهم الملك لاسيما إذا اشتبكت الأمور، وازدحمت الأشغال (ابن طولون الصالح: نقد الطالب لزغل المناصب، ص ٧٣).

(٢) السلطان ططر: هو الملك الظاهر أبو الفتح ططر، يُعد الثلاثون من ملوك التُّرك والسادس من ملوك الجراكسة، تولى السلطنة في ٢٩ شعبان ٨٢٤هـ/ ٦ سبتمبر ١٤٢١م، حضر من دمشق إلى القَاهِرَة بعد توليته، ولكنه لم يمكث كثيراً فقد مات في ٤ ذي الحجة ٨٢٤هـ/ ٨ ديسمبر ١٤٢١م، قيل عنه إنه كان يميل إلى التدين، وفيه لين وعطاء وكرم مع طيش وخفة، شديد التعصب لمذهب الإمام أبي حنيفة (ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ص ١١٦).

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقَاهِرَة، علق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج ١٤، ص ١٠.

(٤) أمراء العشرات: وظيفة من الوظائف العسكرية التي يُعد صاحبها من الطبقة الثالثة من المماليك الأجناد، وهم صغار الولاة، وكانت عدتهم قديماً خمسين أمير بخدمة كل واحد منهم عشرة مماليك (ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ١١٣).

خمسة^(١)، وكثيرًا ما خلع السلاطين على نقباء الجيوش بالديار المصريّة الهدايا والخلع، إلا بعض النقباء يسيبون الكثير من الفزع والشدة في شوارع القاهرة مما يترتب عليه غضب وحقد السلطان عليهم، وبالتالي صب غضبه عليهم، فعلى سبيل المثال في ذي القعدة ٧٧٤هـ/ مايو ١٣٧٣م، في عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين^(٢)، غضب على نقيب جيشه المسمى: الأمير محمد بن إياز الدواداري، فأمر بنفيه إلى بلاد الشام^(٣).

وفي ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م في عهد السلطان الناصر فرج^(٤)، كان نقيب الجيش هو: ناصر الدين بن الوزير تاج الدين أخو فخر الدين، وقد تولى نقابة الجيش بسعي بهال كثير^(٥) فأمر السلطان الناصر بمصادرته فصدروا وأهين بالضرب

(١) ابن كنان الصالحى: حقائق الياسمين، ص ١٣٤.

(٢) الأشرف شعبان: هو الملك الأشرف زين الدين أبا المعالي شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون، تسلطن تحت حجر يلغا حتى قُتل في ربيع الثاني ٧٦٨هـ/ ديسمبر ١٣٦٦م، فأنفرد بالسلطنة إلى أن قُتل في ذي القعدة ٧٧٨هـ/ مارس ١٣٧٧م، فكانت مدته أربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر يومًا (المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٣٩٠-٣٩١).

(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب، القاهرة- مصر، ١٩٧١م، ج ٣، ق ١، ص ٢٠٨.

(٤) الناصر فرج: هو فرج بن برقوق بن أنص، السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات، الجاركي الأصل المصري المولد والمنشأ، السادس والعشرون من ملوك التُّرك والثاني من الجراكسة، جلس على كرسي الحكم بعد موت والده في شوال ٨٠١هـ/ يونيو ١٣٩٩م، بعهد من أبيه، واستمر حتى تُخلع بأخيه المنصور عبد العزيز في ربيع الأول ٨٠٨هـ/ سبتمبر ١٤٠٥م، واختفى إلى أن ظهر مرة أخرى وتسلطن ثانيًا ودام في ملكه إلى أن قبض عليه الأمير شيخ والأمير نوروز الحافظي، وقتلاه في صفر ٨١٥هـ/ مايو ١٤١٢م (ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ٢، ص ٥٢٠).

(٥) أحمد عبد الرازق: البذل والبرطلة، ص ٩١.

ونهب داره، ثم عفا عنه بعض فترة وجيزة، وأعيد مرة أخرى إلى نقابة الجيش، بسفاره الشيخ ولي الدين السفطي على كره منه^(١).

وفي ذي القعدة ٨١٤هـ / ١٤١١م في عهد الناصر فرج أيضًا تم القبض على شهاب الدين أحمد بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوي كاشف الشرقية^(٢)، وعلى الحجازي نقيب الجيش، وسلموا للوزير سعد الدين بن البشير، ليقصص منهما ويوقع عليهما أنواع العقوبات والمصادرات^(٣).

وفي ذي الحجة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م، في عهد الظاهر جقمق أمر السلطان بمعاينة ابن الطبلاوي نقيب الجيش لخطأ بدر منه؛ لذا ضرب بالعصي مقدار مائتين عصا^(٤).

كذلك غضب السلطان الأشرف إينال^(٥) في ٨٥٩هـ / ١٤٥٥م على نقيب الجيش المسمى: عبد العزيز محمد الصغير، وأمر بضربه فضرب ضربًا مبرحًا، ثم أمر بنفيه إلى دميّاط، فأخرج من وقته في مذلة تامة^(٦).

(١) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ٢، ص ٦٣٧.

(٢) كاشف الجسور: من الوظائف الإدارية المهمة في مصر، وتُعرف باسم: كاشف التراب، مهمته هي الإشراف على الجسور السلطانية أو ما يُعرف بعمارة الجسور (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٦٦؛ ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ١٢٩)؛ وقد جرت العادة أن يكون كشاف الجسور ثلاث أحدهم في الوجه القبلي والصعيد، والثاني للوجه البحري يُشرف على الشرقية والغربية والبحيرة والثالث على الجيزة. ثم ما لبث أن تحول الكشف إلى كشافين أحدهما في الفيوم والآخر في الجيزة (ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٢٣٢؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٣٤٤).

(٣) المقرئزي: السلوك، ج ٤، ق ١، ص ١٩٥.

(٤) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣١.

(٥) الأشرف إينال: هو السلطان السادس والثلاثون من ملوك التُّرك، والثاني عشر من الجراكسة، تسلطن بعد خلع المنصور عثمان بن جقمق في ربيع الأول ٨٥٧هـ / فبراير ١٤٥٣م (ابن

وفي نهاية العصر المملوكي الجركسي في سلطنة قنصوة الغوري في ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، تغير خاطر السلطان على نقيب جيشه المسمى: الشرف يونس بن الأقرع؛ لذا قرر عليه غرامة مالية قدرها عشرون ألف دينار، وأجبره على الاعتراف بذلك، بأن أمره بأن يكتب صقًا بخط يده بهذا المبلغ، وكان سبب هذا الحادث أن نقيب الجيش الشرف يونس لم يتمم مهمته الموكلة إليه قبل السلطان، حيث أسند إليه معاقبة كاشف منفلوط -بلدة بصعيد مصر- يُدعى: يونس السيفي قيت الرحبي، الذي قرر عليه السلطان مالا له صورة وسلمه إلى نقيب الجيش يونس بن الأقرع، إلا أن النقيب تراخ بعض الشيء؛ لذا أنذره السلطان بقوله: "ما أعترف المال الذي عليه إلا منك" (٢)، فكان هذا سببًا في اضطرار نقيب الجيش لدفع المال من ماله الخاص.

وفي حقيقة الأمر فإن نقيب الجيش هذا كان من وسائط السوء إذا وقف بين يدي السلطان لا يتحدث في أحد من الناس بخير، ويحصل للناس منه الضرر الشامل، فكان يستحق هذا العقاب، فلما جري عليه ذلك شرع في بيع أملاكه ورزقه وقماشه وخيوله، وجاء عليه السلطان مجيء وحشي، والمجازاة من جنس العمل (٣).

تغري بردي: مورد اللطافة، ص ١٢٩ - ١٣٠؛ تنقل بين عدة وظائف إدارية إلى أن ولاه السلطان الظاهر جقمق الدوايرية الكبرى، وقد سبقها عدة وظائف منها نيابة غزة والرها، ثم ولاية صفد، وأعيد مقدمًا إلى القاهرة حتى صار أتابكًا للعساكر (ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ١، ص ١٧٥؛ ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل في ذيل الدول، ق ٦، ج ٢، ص ١٠٢).

(١) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج ٢، ص ٥٤٥؛ ابن شاهين الظاهري: المصدر السابق، ق ٥، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق والجزء، ص ٢٩٠.

وعلى النقيض نجد نقيب الجيش المسمى: بالأمير شهاب الدين صاروجا كان ينزل مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون^(١) -أثناء صيده- لينزل الناس منازلهم باحترام ولا يتجبر على أحد، أثناء ذلك مال عن ظهر فرسه باتجاه الأرض، فأنزله الناس فتوفى على الأرض، فحملوه إلى القَاهِرَة، ودفن بتربته خارج باب القرافة، وتولى نقابة الجيش بدلاً منه الأمير بدر الدين بكتاش^(٢)، وهذا يعطي صورة بين شخصيتين من نقباء الجيش، صورة سيء السيرة الذي كرهه الناس، وحسن السيرة الذي أحبه الناس وحزنوا على وفاته.

ولم يخل تاريخ نقباء الجيش من تعرض العوام لهم ومحاولته رجمهم بالحجارة وغيرها، ففي ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م، في عهد الأشرف إينال العلائي، وقف بعض العامة تجاه باب المدرج -أحد أبواب قلعة الجبل- في انتظار نزول نقيب الجيش: الناصر محمد بن أبي الفرج، فرجموه وأفحشوا في أمره، كما فعلوا ذلك معه سابقاً؛

(١) الناصر محمد بن المنصور قلاوون: تولى السلطنة ثلاث مرات، كما حج ثلاث مرات، أولها ٧١٢هـ / ١٣١٢م، عندما أناب الأمير تنكز على السلطنة بالديار المصرية، والثانية في ٧١٩هـ / ١٣١٩م، عندما حج وصحبه المؤيد صاحب حماة، ولما وصل إلى مكة المكرمة أبطل سائر المكوس بها، ثم حج في ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م (ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه"، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٧٦م، ج ٢، ص ٤٥، ٩٩، ١٢٥، ٢٢١؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، راجعه أحمد دراج، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٣٤٨، ٣٥٣ - ٣٥٤؛ المقرئزي: الذهب المسبوك، ص ١٢٦).

(٢) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

فاضطر إلى الفرار إلى دار الأمير تمرغا الدوادار الثاني^(١)، وبالتالي شكّا نقيب الجيش ما فعله العامة به إلى السلطان الذي أمر بعدم وقوف أحد عند باب المدرج، ومن يقف عنده فعليه شيء من الجزاء والعقاب^(٢).

٣- أشهر نقباء الجيوش في مصر المملوكية:

أما عن أشهر من تولى منصب نقيب الجيش في الديار المصريّة في العصر المملوكي، فمنهم:

السلطان	أسماء نقباء الجيوش	السنة	الملاحظة
الأشرف خليل	العزي	١٢٩٠هـ / ١٢٩١م	توفي في حصار مدينة عكا ضد الصليبيين وقتل معه مائة وعشرون مملوكاً من المماليك السلطانية ^(٣) .
الناصر محمد بن قلاوون	الأمير علاء الدين طبرس الخزانداري	٧٠٣هـ / ١٣٠٣م	

(١) الدوادار: هو صاحب الدواة السلطانية (عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج ٢، ص ٩٠)؛ انظر السحراوي: الثغر الباسم، ج ١، ص ٣٧١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي، ص ٤٢٣؛

Dozy: Supplement aux dictionnaires Arabes, (Leiden, Brill, 1967), Voll. 2, P. 469,

والدوادار أي: ممسك الدواة ويطلق على هذه الوظيفة اسم: الدوادارية، وصاحبها يقوم بإبلاغ رسائل السلطان ويقدم القصص والشكاوي إليه (ابن كنان الصالح: حقائق الياسمين، ص ١١٧).

(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج ٢، ص ٤٠٦.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٦٨.

الناصر محمد بن قلاوون	توفي الأمير علاء الدين طبرس	٧١٩هـ / ١٣١٩م	دفن في مدرسته بجوار جامع الأزهر
الناصر محمد بن قلاوون	شهاب الدين أحمد بن جمال الدين آقوش المهندار		مضافاً إلى ما بيده من المهندارية، وقام بأمر الوظيفتين قياماً جيداً حتى ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م ^(١)
الناصر محمد بن قلاوون	الأمير سنقر	٧٢٦هـ / ١٣٢٦م ^(٢)	
الناصر محمد بن قلاوون	شهاب الدين صاروجا	٧٣٢هـ / ١٣٣٢م	
الناصر محمد بن قلاوون	عز الدين دقماق	٧٣٤هـ / ١٣٣٤م	وخلفه شهاب الدين صاروجا عوضاً عنه ^(٣)
الناصر محمد بن قلاوون	شهاب الدين صاروجا	٧٣٦هـ / ١٣٣٥م ^(٤)	توفي أثناء رحلة صيد للسلطان فسقط من ظهر فرسه.
الناصر محمد بن قلاوون	الأمير بدر الدين بكتاش	٧٣٦هـ / ١٣٣٥م	تولى عوضاً عنه

(١) ابن أبيك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - مصر، ١٩٦٠م، ج ٩، ص ١٠٩، ٢٩٥، ٣٠٧، ٣٤٣.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٤٥٨.

(٣) ابن أبيك الدواداري: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، ج ٩، ص ٣٦٧ - ٣٧٧.

(٤) اليوسفي: نزهة الناظر، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

الناصر محمد بن قلاوون	الأمير أسنبغا البهادر	٧٣٧هـ / ١٣٣٦م ^(١)	استقر عوضه في شد العمائر قطلوبغا الكوكاي
الأشرف شعبان المرة الثانية	ناصر الدين محمد بن سرتقطي	٧٧١هـ / ١٣٦٩م	عوضًا عن أرغون بن قيران بحكم وفاته ^(٢)
الظاهر برقوق	ناصر الدين بن ليلي	٧٩٤هـ / ١٣٩٢م	عوضًا عن أسندمر ^(٣)
الظاهر برقوق	ناصر الدين محمد بن علاء الدين بن كلف	٧٩٨هـ / ١٣٩٥م	عوضًا عنه علي العينتاني ^(٤)
الظاهر برقوق	بهاء الدين واستقر معه ولاية القاهرة	٨٠٠هـ / ١٣٩٧م	عوضًا عن ناصر الدين الذي اعتقل ^(٥)
الناصر فرج	ناصر الدين بن الوزير تاج الدين بن علي بن كلف الحجازي	٨٠٢هـ / ١٣٩٩م ٨١٠هـ / ١٤٠٧م	تم اعتقاله وسلم للووزير ^(٦) عوضًا عن حسام الدين الوالي ^(٧)

(١) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٢١٧.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٩٥.

(٣) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج ١، ص ٣٤٨.

(٤) ابن الصيرفي: المصدر السابق والجزء، ص ٤٣١.

(٥) ابن الصيرفي: المصدر السابق والجزء، ص ٤٦٤.

(٦) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ٢، ص ٦٣٧.

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٧٨٦.

المؤيد شيخ المحمودي ^(١)	الأمير خرز	٨١٩هـ / ١٤١٦م	عزل عن ولاية القَاهِرَة، وشد الدواوين والحجوبية ^(٢)
الظاهر جقمق	الناصر محمد بن طبر	٨٤٣هـ / ١٤٣٩م ^(٣)	
الظاهر جقمق	العلائي الطبلأوي ^(٤)	٨٤٣هـ / ١٤٣٩م	بدلاً من الناصر محمد بن طبر ^(٥)
الظاهر جقمق	الطواشي جوهر الساقي	٨٥٤هـ / ١٤٥٠م	لما تغير خاطر السلطان على أبي الخير بن النحاس كفل النقيب بمعاقبته ^(٦)

(١) المؤيد شيخ: هو السلطان الملك المؤيد أبو النصر أحد المماليكيين الظاهرية، أخذ صغيراً من بلده، وقد خرج مع الصبيان ليلتقط من ثمار بعض المزارع، فأختطف وبيع لتاجر جملة في القَاهِرَة، فدخلها في ذي الحجة ٧٨٢هـ / مارس ١٣٨١م، وعمره آنذاك اثني عشر سنة، واستمر عند تاجره الذي جلبه حتى اشتراه منه خوارجاً محمود شاه اليزدي بثلاثة آلاف درهم فضة. وقد تنقل في عدة وظائف منها: الجمدارية، ومنها جملة السقاة الخاص، حتى استقر في جملة الخاصكية، ثم أُنعِم عليه بامرة عشرة، ثم انتقل إلى إمرة طلبخاناه (المقرزي: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمود الجليلي، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ج ٢، ص ١٢٥).

(٢) المقرزي: السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٣٦٦.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٤) ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ق ٥، ج ٢، ص ١١١.

(٥) السخاوي: التبر المسبوك، ص ٣١٠.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٢، ص ٢٨٠.

الأشرف إينال	الناصرى محمد بن أبى الفرج	٨٥٤هـ / ١٤٥٠م ^(١)	ثم قرره السلطان في الاستدارية ^(٢)
الأشرف إينال	السيفى خشكلى السيفى قجقاي الزردكاي	٨٥٩هـ / ١٤٥٥م	عوضًا عن عبد العزيز بن محمد الصغير بسبب نفيه ^(٣)
الأشرف إينال	على بن إسكندر	٨٥٩هـ / ١٤٥٥م	بعد عزل خشكلى
الظاهر خشقدم	محمد بن أبى الفرج	٨٦٩هـ / ١٤٦٤م	
الأشرف قايتباي	أعيد الزينى أمير حاج	٨٩٠هـ / ١٤٨٥م	وصرف عنها موسى بن الترجمان بعد كارثة عظيمة وقعت له ^(٤)
قنصوة الغوري	يونس بن الأقرع	٩٠٦هـ /	توجهت طائفة من المماليك الجلبان ونهبوا داره
قنصوة الغوري	يونس بن الأقرع	٩١٣هـ /	تغير خاطر السلطان على جمال الدين فسلمه للنقيب لمعاقبته وفرض عليه عشرة آلاف دينار ^(٥)
قنصوة الغوري	يونس بن الأقرع	٩١٧هـ / ١٥١١م	حج في هذا العام ^(٦)

(١) ابن إياس: المصدر السابق والجزء، ص ٣٢١.

(٢) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج ٢، ص ٥٤٥.

(٣) ابن تغري بردي: المصدر السابق والجزء، ص ٥٤٧.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ١٩٠.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٤.

(٦) ابن إياس: المصدر السابق والجزء، ص ٢٤٩.

٤- المنشآت العمرانية لنقيب الجيش:

اهتم نقيب الجيوش بالديار المِصرِيَّة بالمنشآت العمرانية، فعلى سبيل المثال: فإن الأمير علاء الدين طبرس المتوفي ٧١٩هـ / ١٣١٩م، في عهد الناصر محمد بن قلاوون قام بإنشاء المدرسة التي بجوار جامع الأزهر، والتي دفن فيها بعد وفاته، وكان هذا النقيب يتصف بالبر والصدق والمعروف وعدم الطمع في أموال الناس^(١).

كذلك أشار ابن إياس^(٢) إلى العديد من المنشآت المعمارية التي أقامها النقيب فمنهم على سبيل المثال لا الحصر: النقيب العزي الذي كان على رأس جيش السلطان الأشرف خليل واستشهد في ميدان القتال مع الصليبيين، فهو صاحب سوقة العزي نسبة إلى اسمه، كذلك عَمَرَ نقيب الجيش الأمير سنقر السعدي في عهد الناصر محمد في ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م، قرية التحريرية من أعمال الغربية، والتي كانت من ضمن إقطاعه، فبنى بها جامعاً وطاحونة وخان ومعصرة، بالإضافة إلى إنشاءه مدرسة بالقرب من حمام الفارقاني. ولا يفوتنا الإشارة إلى أنه في ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م قام الأمير صاروجا نقيب الجيش ببناء جامع في بركة الرطلي، وهو من الأمراء المقدمين.

وخلاصة القول فإن نقيب الجيوش في الديار المِصرِيَّة، لهم مكانة مميزة في العصر المملوكي الأول؛ لدرجة أن متوليها لا بد أن يكون من أمراء العشرات، ثم انحط هذا المنصب فصار صاحبها من أمراء الخمسة، وكثيراً ما تسببوا في هذه

(١) ابن أبيك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٩، ص ٢٩٥.

(٢) بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ٣٦٨، ٤٥٨، ٤٦٣.

الفترة في الاضطرابات والفتن؛ نتيجة لميلهم إلى ترويع الطرق والاستيلاء على الأموال.

ثانيًا: قاضي العسكر في مصر المملوكية:

من أهم وظائف قاضي العسكر الاهتمام بشئون الجند في الجيش بالديار المصريّة، حيث تكون مهمته الأساسية الفصل في المنازعات والمشاكل التي تنشأ بين الجنود وبعضهم، والتدخل في شئون الأرزاق خاصة تقسيم الغنائم التي تنتج عن الانتصار في الحروب؛ لذا نجد أن قاضي العسكر كان يصحب السلطان في سفره وتنقلاته وفي الحروب التي يخوضها، مثلما نجد في عهد المؤيد شيخ المحمودي عندما حضر من الشّام إلى مصر ومعه قاضي العسكر: تقي الدين أبي بكر بن عمر الجيني الحموي الحنفي^(١)، والقاضي: أمين الدين بن شمس الدين الطرابلسي^(٢)، والقاضي: تقي الدين أبي بكر عمر الجيني الحموي الحنفي، الذي عين بدلاً من القاضي: شهاب الدين أحمد بن الصفدي^(٣)، ومن المهام الموكلة لقاضي العسكر حضور مجلس الإفتاء، فقد حضر قاضي القضاة: سراج الدين البلقيني وولده جلال الدين عبد الرحمن قاضي العسكر، مجلس الإفتاء في ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م، في عهد الظاهر برقوق، وقُدمت لهم نسخ الفتاوي من الملك الظاهر^(٤).

(١) العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق عبد الرازق الطنطاوي القرموط، الطبعة الأولى، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٤٧.

(٢) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٨.

(٣) العيني: عقد الجمان، ص ٢٢٠.

(٤) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج ١، ص ٢٦٦.

١- قاضي العسكر والوظائف المسندة إليه في العصر المملوكي:

نلاحظ أن هناك العديد من قضاة العسكر الذين أسندت إليهم مناصب دينية وإدارية أخرى في العصر المملوكي، نبغوا فيها، وتولوها بكفاءة ومقدرة كبيرة، من هذه الوظائف حسبة مصر^(١) -أي محتسب الأسواق والإشراف عليها وتيسير أمورها- مثل: القاضي سراج الدين عمر العجمي الحنفي الذي كان قاضي للعسكر في عهد السلطان الظاهر برقوق وتولاها عوضاً عن شرف الدين، فقد تولى منصب الحسبة بمصر إلى جانب ما تحت يديه من قضاء العسكر^(٢).

ومن الوظائف التي أسندت إلى قاضي العسكر، تدريس المذاهب المختلفة والإفتاء، ففي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون في ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م، توفي بالقاهرة القاضي جمال الدين أبو الربيع سليمان بن الخطيب سراج الدين أبو حفص عمر بن شرف الدين أبي الغنائم سالم بن عمرو، الشهير: بالزرعي الشافعي، وله من العمر تسع وثمانون سنة، وكان قاضي العسكر بالديار المصرية، ومن أعيان المدارس، سمع الحدث وروى وأفاد بدمشق ومصر، وكان إماماً، عالماً علامة، ورعاً دينياً، عفيفاً، مجتهداً في نصره الحق، وإعلاء منار الشرع الشريف^(٣).

(١) الحسبة: من الوظائف الإدارية المهمة في العصر المملوكي، والمحتسب لابد أن يتوفر فيمن يتولى هذه الوظيفة أن يكون حرّاً عدلاً ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، وعلم المنكرات الظاهرة (النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٦، ص ٢٩١)؛ وهي وظيفة مرتبطة بحياة الناس، لمراقبة الغش في الحرف والصناعات والتعامل في الأسواق، وإلزام التجار بالبيع والشراء بالسعر المحدد (العمرى: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٦٢؛ السبكي: معيد النعم، ص ٦٥).

(٢) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ص ٦٦.

(٣) ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور، ج ٢، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

وفي جماد الثاني ٧٥٧هـ/ أغسطس ١٣٥٦م، توفي السيد الشهاب شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد الحسيني الشافعي المعروف: بابن قاضي العسكر، وهو الذي كان يُوصف بأنه إمامٌ عالمٌ فاضلٌ أديبٌ بارعٌ، كثير المروءة، من أذكى الناس، رئيسًا جليلاً، تفقه وقرأ الأصول والعربية، ودرس بالفخرية^(١)، ومشهد الحسين بالقاهرة^(٢).

وفي شعبان ٧٦٢هـ/ يونيو ١٣٦١م، توفي المولي السيد شهاب الدين أبو عبد الله الحسيني ابن الشريف شمس الدين محمد الحسيني، الشهير: بابن قاضي العسكر المصري الشافعي، موقع الدست بالقاهرة وهو إمامٌ عالمٌ فاضلٌ، أديبٌ بارعٌ كاتبٌ مجيدٌ، رأسًا في صناعة الإنشاء، المتولي خطابة جامع ابن عبد الظاهر^(٣) ونقابة الأشراف بالديار المصرية، وحماية ديوان الإنشاء بحلب، وله ديوان خطب ورسائل بديعة، ونظم حسن كثير، منه:

وخل جاء يسأل عن قبيل وضوء الشمس للرائي جلي

(١) المدرسة الفخرية: هذه المدرسة فيما بين سويقة صاحب ودرب العداس، عمرها الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان بن قزل البارومي استادار الملك الكامل محمد بن العادل، وكان الفراغ منها في ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م، ولد الأمير فخر الدين في ٥٥١هـ/ ١١٥٦م، بحلب وتنقل في الخدمة، حتى صار أحد الأمراء بالديار المصرية (المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٤، ص ١٩٩).

(٢) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٢٠٠.

(٣) جامع ابن عبد الظاهر: هذا الجامع في القرافة الصغرى قبلي قبر الليث بن سعد، كان موضعه يُعرف بالخنديق، أنشأه القاضي فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر الجذامي السعدي الرومي، من ولد روح بن زبناج الجذامي، بجوار قبر أبيه، وأول ما أقيمت في الخطبة في يوم الجمعة ٢٥ صفر ٦٨٣هـ/ ١٩ مايو ١٢٨٤م، وكان يومًا مشهودًا لكثرة من حضر من الأعيان (المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٤، ص ١٣٠).

فقلت له ولم أفخر وإني إذا ذكر الفخار به ملي^(١)

وذلك في سلطنة المنصور صلاح الدين محمد^(٢).

وفي جماد الأول ٧٧٣هـ/ نوفمبر ١٣٧١م، خلع السلطان الأشرف ناصر الدين شعبان على الشيخ شمس الدين عبد الرحمن الصايغ الحنفي، واستقر قاضي العسكر، عوضاً عن صدر الدين محمد التُّركماني، وأُضيف إليه تدريس الحنفية في الجامع الطولوني^(٣).

وفي شعبان ٧٧٣هـ/ فبراير ١٣٧٢م، خلع السلطان الأشرف شعبان على الشيخ سراج الدين عمر البلقيني واستقر في قضاء العسكر عوضاً عن الشيخ بهاء الدين أحمد بن السبكي بعد موته، واستقر في تدريس المدرسة الناصرية^(٤) بجوار

(١) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٢٤٣.

(٢) المنصور صلاح الدين محمد: هو الحادي والعشرون من ملوك التُّرك، وهو المنصور محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون، تولى السلطنة بعد قتل عمه السلطان حسن، وذلك في ٩ جماد الأول ٧٦٢هـ/ ٢٤ مارس ١٣٦١م، واستمر في السلطنة حتى ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م، إذ تأمر ضده الأتابك يلغا وخلعه وسجن داخل الدار، فكانت مدة مملكته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام، ولم يزل بداره بقلعة الجبل إلى أن توفي في محرم ٨٠١هـ/ سبتمبر ١٣٩٨م (ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ص ٨٦).

(٣) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٩٨؛ الجامع الطولوني: موضعه يُعرف بجبل يشكر، وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء، وأول من بني هذا الجامع هو الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بناء القطائع في ٢٦٣هـ/ ٨٧٦م (المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ج ٤، ص ٣٦).

(٤) المدرسة الناصرية: بجوار الجامع العتيق من الناحية القبليّة، هذه المدرسة عُرفت أولاً بالمدرسة الناصرية ثم عُرفت بابن زين التجار وهو: أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي، أحد أعيان الشافعية، درس بهذه المدرسة مدة طويلة، ومات في ذي القعدة ٥٩١هـ/ أكتوبر ١١٩٥م، ثم عُرفت بالمدرسة الشريفة (المقرئزي: المصدر السابق والجزء، ص ١٩٣).

قبة الإمام الشافعي (رضي الله عنه) بالقرافة، وتدرّس الشافعية بالمدرسة المنصورية^(١) بين القصرين بالقاهرة^(٢)، وقرر أيضًا في الإفتاء بدار العدل^(٣).

هذا بالإضافة إلى قيام قاضي العسكر بالإشراف على بيت المال، وتوقيع الدست، كما حدث في ٧٣١هـ / ١٣٣١م، عندما أسند السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى القاضي أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله التميمي الدمشقي وكالة بيت المال، وقضاء العسكر وكتب توقيع الدست^(٤).

وفي ربيع الآخر ٧٦٣هـ / فبراير ١٣٦٢م، توفي المولي أمين الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين أبي القاسم أحمد بن محمد بن نصر الله التميمي الدمشقي الشافعي، المعروف: بابن القلانص، الذي كان رئيسًا حليلاً مهيباً، عالماً فاضلاً، ذا وقار وحرمة، سمع وحدث وأفاد، ودرس بالعصرونية - أنشأها عبد الله بن محمد شرف الدين بن عصرون - وغيرها من المدارس، وولي قضاء العسكر ووكالة بيت المال، ثم صحابة ديوان الإنشاء بدمشق، ثم عزل حتى توفي^(٥).

كذلك كان القاضي جلال الدين بن عبد الرحمن البلقيني الشافعي، متولي قضاء العسكر، خلفاً لأخيه بدر الدين، وباشر توقيع الدست في ديوان الإنشاء، كما

(١) المدرسة المنصورية: من داخل باب الهارستان الكبير المنصوري بخط بين القصرين بالقاهرة أنشأها هي والقبة التي تجاهها والهارستان الملك المنصور قلاوون الألفي الصالحي على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، ورتب بها أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة، ودرساً للطب، ورتب بالقبة درساً للحديث النبوي ودرساً لتفسير القرآن الكريم، وكانت هذه الدروس لا يليها إلا أجل الفقهاء المعبرين (المقريزي: المصدر السابق والجزء، ص ٢١٨)

(٢) المقريزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٩٩.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ١٠٩.

(٤) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ١، ص ٨٦.

(٥) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٣، ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

تولى قضاء الشافعية في مصر في ٨٠٤هـ / ١٤٠١م في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق^(١).

وفي بعض الأحيان يضم إلى ناظر الجيش قضاء العسكر، كما حدث في سلطنة الظاهر برقوق في صفر ٧٩٩هـ / نوفمبر ١٣٩٦م عندما توفي قاضي الحنفية: جمال الدين محمود القيصري الذي كان والياً على نظر الجيش وقضاء العسكر في الديار المصرية^(٢).

وفي عهد السلطان الناصر فرج أُسند إلى القاضي: تقي الدين يحيى بن الشيخ شمس الدين الكرمانى قضاء العسكر وإفتاء دار العدل، وذلك في ٨٠٤هـ / ١٤٠١م^(٣).

كذلك ارتفع شأن قاضي العسكر القاضي: شمس الدين محمد بن التبانى في ذي الحجة ٨١٦هـ / مارس ١٤١٤م بأن أُسند إليه قضاء الحنفية في دِمَشْق^(٤).

وفي عهد المؤيد شيخ المحمودي أُسند إلى قاضي العسكر: زين الدين العلائي الإشراف على إفتاء دار العدل بالديار المصرية^(٥).

وفي دِمَشْق نجد إشارة من المؤرخ ابن حبيب^(٦) إلى وفاة قاضي العسكر بَدِمَشْق: بهاء الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أيوب العيتابى الحلبي الحنفي، في محرم ٧٦٧هـ / أكتوبر ١٣٦٥م، وقد وصفه بأنه كان إماماً عالماً فاضلاً حسن

(١) ابن حجر العسقلاني: رفع الأصر عن قضاة مصر، ج ٢، ص ٣٣٢.

(٢) ابن حجي: تاريخ ابن حجي، ج ١، ص ٢٠٧.

(٣) ابن حجي: المصدر السابق والجزء، ص ٥٤٨.

(٤) العيني: السيف المهند، ص ٣٢٢.

(٥) العيني: عقد الجمان، ص ٢٦٥.

(٦) تذكرة النبیه، ج ٣، ص ٢٩٦.

الشكل والأخلاق، أفتى ودرس وأفاد، وألف وشرح مجمع البحرين في ستة مجلدات، والمغني في أصول الفقه، وكانت وفاته بدمشق وقد جاوز الستين.

وبناء على ما سبق فقد كان قاضي العسكر يتمتع بالمنزلة الكبرى؛ لذا أُهل ليكون في مناصب أخرى بجانب قضاء العسكر كأن يقوم بالتوقيع في الدست، والتدريس في المدارس والجوامع المشهورة في الديار المصريّة، وأن يتولى الإفتاء في دار العدل وغيرها من المناصب الدينية في العصر المملوكي.

٢- قاضي العسكر والخلع والهبات من السلاطين:

كان من حق السلطان القائم على العرش أن يهب المقربين له وأصحاب المناصب العليا الهبات والعطايا في المناسبات المتنوعة، مثل مناسبة: جلوس السلطان على العرش، أو طلوع كبار رجال الدولة ومنهم القضاة الأربعة وقاضي العسكر للتهنئة بحلول الشهر الكريم، فكان السلطان يهبهم الهدايا والعطايا الفاخرة.

ومن ذلك في ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م في عهد الظاهر برقوق عندما خلع على القضاة الأربعة ومعهم قاضي العسكر بالخلع الفاخرة^(١). كذلك في ٨١٨هـ / ١٤١٥م عندما خلع السلطان المؤيد شيخ على القضاة الأربعة الخلع الفاخرة ومعهم قاضي العسكر^(٢)، مما يدل على مكانة هذا القاضي في الدولة المؤيدية.

٣- انتشار ظاهرة الرشوة في تولية مناصب قاضي العسكر:

ساد العصر المملوكي الثاني -الجركسي- ظاهرة البذل والبرطلة في تولي المناصب الرئيسة في البلاد، ومن ضمنها وظيفة: قاضي العسكر؛ لذا نجد أن

(١) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج ١، ص ٤٨.

(٢) العيني: السيف المهند، ص ٣٣١.

أغلبهم بذل الأموال ليتولاهما أو للبقاء في منصبه، وهذا من الأمور الشائنة التي تفقد منصب قاضي العسكر جلالته وقديسيته وتجعله عرضه لأن يتولاه أشخاص عديمي القدرة والكفاءة والمعرفة بتسيير أمور الجند والجيش، وبالتالي وجب على السلاطين ضبط هذه الأمور، مما ترتب عليه اللجوء للعزل والتولية في أوقات قصيرة ومتقاربة.

وهكذا لم نعد بحاجة إلى التأكيد على مدى التدهور والانحيار الذي تعرضت له هذه الوظيفة بالديار المصرية، بعد أن نجح سلاطين المماليك في إثارة روح الحماس بين خطاب هذا المنصب الجليل سعياً وراء الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأموال، دون مراعاة لمتطلبات هذه الوظيفة المهمة^(١).

ومن أول من قدم رشوة للبقاء في منصبه القاضي: صدر الدين المناوي، الذي تولى هذا المنصب للمرة الثالثة في رجب ٨٠١هـ/ مارس ١٣٩٩م، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يبق أكثر من عشرة أشهر، ثم عُزل في جماد الثاني في العام التالي/ فبراير ١٤٠٠م^(٢)، بالقاضي جلال الدين البلقيني مع بذله المال أيضاً^(٣).

٤- أشهر من تولى منصب قاضي العسكر في العصر المملوكي:

لم تمدنا المصادر القديمة بجميع أسماء القضاة الذين تولوا منصب قاضي العسكر في الديار المصرية على مدى فترة العصرين المملوكي الأول والثاني، ولكن تحت أيدينا بعض أسماء هؤلاء القضاة، وأسماء السلاطين الذين عاصروا فترات حكمهم ومنهم:

(١) أحمد عبد الرازق: البذل والبرطلة، ص ١٠٣.

(٢) ابن حجر العسقلاني: رفع الأصر عن قضاة مصر، ج ٢، ص ٣٣١.

(٣) ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ق ٣، ج ١، ص ٧٣.

السلطان	قاضي العسكر	السنة	الملاحظة
المعز عز الدين أبيك التُّركماني	علي بن خليل بن علي الشيخ أبو الحسن الفقيه الأديب الحنفي المعروف: بابن قاضي العسكر	توفي ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م	كان أديبًا شاعرًا ^(١)
الناصر محمد بن قلاوون	جمال الدين أبي الربيع سليمان بن سراج الدين أبي حفص الشافعي	٧١١هـ / ١٣١١م	توفي ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م ^(٢)
الناصر محمد بن قلاوون	أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله التميمي الدمشقي المعروف: بابن القلانس	توفي ٧٣١هـ/ ١٣٣١م	وكيل بيت المال وكاتب توقيع الدست ^(٣)
الأشرف شعبان	بهاء الدين أبي البقاء	ربيع الأول ٧٦٥هـ / ديسمبر ١٣٦٣م	استقر قاضي العسكر ووكيل الخاص ^(٤) .

(١) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ١، ص ٤٥٥.

(٢) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج ٢، ص ٣٩، ٢٤٩.

(٣) ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج ١، ص ٨٦؛ كان ابن القلانص نبيلًا، مليح الشكل عاش
نيقًا وستين سنة، وهو أحد الإخوة، ومات ٧٣١هـ / ١٣٣١م (ابن تغري بردي: المنهل
الصابي، ج ٢، ص ١٨٥).

(٤) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ٩١.

الأشرف شعبان	السراج عمر الهندي الحنفي	١٣٦٣ هـ / ١٧٦٥ م	عوضًا عن التاج محمد بن عبد الحق المنادي بسبب وفاته ^(١)
الأشرف شعبان	بهاء الدين أحمد بن السبكي	١٣٦٤ هـ / ١٧٦٦ م	عوضًا عن أبي البقاء ^(٢)
الأشرف شعبان	شهاب الدين اليعتايي	توفي ١٣٦٧ هـ / ١٣٦٥ م	قاضي العسكر بدمشق ^(٣)
الأشرف شعبان	سراج الدين عمر بن اسحق الهندي	١٣٧٧ هـ / ١٧٦٩ م	شارح البديعية الحنفية، وقضاء العسكر عوضًا عن جمال الدين عبد الله المعروف بابن التركماني ^(٤)
الأشرف شعبان	الشيخ شمس الدين بن عبد الرحمن بن الصايغ الحنفي	١٣٧١ هـ / ١٧٧٣ م	عوضًا عن صدر الدين محمد التركماني ^(٥)

(١) المقرئزي: المصدر السابق والجزء، ص ٩١ - ٩٢.

(٢) المقرئزي: المصدر السابق والجزء، ص ٩٩؛ ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ق ٣، ج ١، ص ٢٨١.

(٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج ١، ص ٢١١ - ٢١٢؛ شهاب الدين اليعتايي: هو أحمد بن إبراهيم بن أيوب الحلبّي الحنفي، نشأ في حلب وتفقّه على علماء عصره وبرع في الفقه والأصول والعربية، وشارك في عدة علوم وتصدّى للإفتاء والتدريس والتصانيف، قدم إلى دمشق وولي بها قضاء العسكر، وتوفي بها أيضًا، وقد قارب الستين عام (ابن تغري بردي: المصدر السابق والجزء، ص ٢١٢).

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٦٤.

(٥) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ١، ص ١٩٨.

الأشرف شعبان	الشيخ سراج الدين عمر البلقيني	شعبان ٧٧٣هـ / فبراير ١٣٧٢م	عوضًا عن الشيخ بهاء الدين أحمد السبكي ^(١)
الظاهر برقوق	بدر الدين محمد بن البلقيني	٧٨٥هـ / ١٣٨٣م ^(٢)	
الظاهر برقوق	جمال الدين محمود	٧٨٩هـ / ١٣٨٧م	عوضًا عن شمس الدين القرمي بحكم وفاته ^(٣)
الظاهر برقوق	سراج الدين عمر العجمي الحنفي	ربيع الثاني ٧٩١هـ / أبريل ١٣٨٩م	عوضًا عن شرف الدين
الظاهر برقوق	عزل سراج الدين عمر القيصري العجمي	في رجب ٧٩١هـ / يوليو ١٣٨٩م ^(٤)	
الصالح حاجي بن الأشرف حسين	بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام	٧٩١هـ / ١٣٨٩م	وكذلك خلع علي أخيه جلال الدين مفتي دار العدل ^(٥)
الظاهر برقوق	أعيد سراج الدين عمر بن العجمي	شعبان ٧٩١هـ / أغسطس ١٣٨٩م ^(٦)	

(١) المقرئزي: المصدر السابق والجزء، ص ١٩٩.

(٢) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج ١، ص ٨٠.

(٣) المقرئزي: السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ٥٦٦.

(٤) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مج ٩، ص ٦٦، ١١٤.

(٥) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج ١، ص ٢٢٧.

(٦) ابن الصيرفي: المصدر السابق والجزء، ص ٢٤٢.

الظاهر برقوق	جمال الدين محمود القيصري	ربيع الأول ٧٩٣هـ / فبراير ١٣٩١م	
الظاهر برقوق	بدر الدين محمود الكلستاني السراي		عوضاً عن سراج الدين عمر العجمي ^(١)
الناصر فرج	أمين الدين بن شمس الدين عبد الوهاب الطرابلسي الحنفي	٨٠١هـ / ١٣٩٩م	عوضاً عن موفق الدين العجمي ^(٢)
الناصر فرج	استمرار أمين الدين الطرابلسي ^(٣)	٨٠٣هـ / ١٤٠٠م	
الناصر فرج	جلال الدين بن عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني الشافعي ^(٤)	٨٠٣هـ / ١٤٠٠م	
الناصر فرج	تاج الدين بن الزهري الشافعي	٨٠٤هـ / ١٤٠٢م ^(٥)	

(١) المقرئزي: السلوك، ج ٣ ق ٢، ص ٥٩٦، ٦٣٩.

(٢) المقرئزي: المصدر السابق والجزء، ص ٩٢١ - ٩٢٢؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ق ٣، ج ١، ص ١٤.

(٣) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج ٢، ص ٤٨.

(٤) جلال الدين بن عبد الرحمن البلقيني: ولد في رمضان ٧٦٣هـ / يوليو ١٣٦٢م، وأمه بنت القاضي بهاء الدين بن عقيل، ونشأ مترفاً معزراً، وكان مفرداً في الذكاء، حفظ القرآن الكريم في صغره (ابن حجر العسقلاني: رفع الأصر عن قضاة مصر، ج ٢، ص ٣٣٢).

(٥) ابن حجي: تاريخ ابن حجي، ج ١، ص ٥١٢.

الناصر فرج	تقي الدين يحيى بن الشيخ شمس الدين الكرماني	ذي الحجة ٨٠٤هـ / يوليو ١٤٠٢م ^(١)	استمر في قضاء العسكر حتى ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م.
الناصر فرج	تقي الدين يحيى بن الكرماني (مرة أخرى)	٨٠٧هـ / ١٤٠٥م ^(٢)	
الناصر فرج	شمس الدين البرقي	٨١١هـ / ١٤٠٩م	
الناصر فرج	زين الدين حاجي الفقيه	٨١٢هـ / ١٤١٠م	إمام السلطان فرج ^(٣)
المؤيد شيخ	جمال الدين بن عبد الله العطائي	٨١٥هـ / ١٤١٢م	عُزل سريعاً ^(٤)
المؤيد شيخ	ثم: شمس الدين بن محمد التباني	في نفس العام ^(٥)	
المؤيد شيخ	استمرار شمس الدين محمد التباني	٨١٦هـ / ١٤١٣م	رقي إلى منصب قضاء الحنفية بدمشق ^(٦)
المؤيد شيخ	تقي الدين بن الجيني الحموي الحنفي ^(٧)		

(١) ابن حجي: المصدر السابق والجزء، ص ٥٤٨.

(٢) المقرزي: السلوك، ج ٣ ق ٣، ص ١١٤٨.

(٣) ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ق ٣، ج ١، ص ١٨٧.

(٤) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج ٢، ص ٢٥٧، ٢٧٥.

(٥) المقرزي: السلوك، ج ٤ ق ١، ص ٢٤٦؛ العيني: عقد الجمان، ص ١٠٧.

(٦) العيني: السيف المهند، ص ٣٢٢؛ ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل ق ٣، ج ١، ص ٢٨١.

(٧) العيني: المصدر السابق، ص ٣٣١.

المؤيد شيخ	زين الدين قاسم العلائي	٨١٩هـ / ١٤١٦م	قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ^(١)
المؤيد شيخ	شمي الدين الرومي	٨٢٢هـ / ١٤١٩م ^(٢)	
الأشرف قايتباي	القاضي شمس الدين بن أجا	٨٨٠هـ / ١٤٧٥م	رسول إلى حسن الطويل ^(٣)

هؤلاء هم قضاة العسكر الذي أمكن معرفتهم في العصر المملوكي، ويلاحظ في الجدول عدم استمرارهم كثيرًا في هذا المنصب فيما عدا بعضهم.

ولابد من وجود مستوفٍ للجيش يساند ناظر الجيش ونقيب الجيش في تسيير شئونهم، والمستوفي الجيش شروط معينة، منها: أن يكون مسلمًا، وبين يديه الحاجب وترد عليه أمور الأجناد، وله العرض الحل والثياب، ويكون بين يدي هذا المستوفي نقباء الأمراء، ينهون إليه متجددات الأجناد من الحياة والموت والمرض والصحة، كذلك في ديوان الجيش تعمل أوراق أرباب الجرايات والرواتب^(٤).

(١) ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل، ق ٣، ج ١، ص ٣١١.

(٢) العيني: عقد الجمان، ص ٢٦٥، ٣٤٢.

(٣) وفي جماد الأول ٨٨٠هـ / سبتمبر ١٤٧٥م، توجه القاضي شمس الدين بن أجا قاضي العسكر في سفارة رسولاً إلى حسن الطويل، ووصل الخبر بانتشار الطاعون في بلادهم، ومات من عسكره ما لا يحصى، وقد تلاشى أمره، فسر السلطان قايتباي لذلك (اين إياس: بدائع الزهور، ج ٣، ص ١١٠).

(٤) المقرئزي: المواعظ والاعتبار، ج ٢، ص ٢٤٢.

وفي مستهل ذي القعدة ٧٥١هـ/ يناير ١٣٥١م في عهد الناصر حسن قبض على ناظر الدولة المستوفين وألزموا بخمسمائة ألف دينار؛ فترفق في أمرهم، حتى استقرت على خمسمائة ألف درهم^(١).

٥- ديوان الجيش في العصر المملوكي:

من أهم اختصاصات ديوان الجيش هو النظر في إقطاعات الأمراء وجنودهم، حيث يسجل فيه كل إقطاع يمنحه السلطان واسم المقطع ومساحة إقطاعه ونوعه، فإن الأراضي الزراعية في العصر المملوكي كانت عبارة عن إقطاعات حربية، وهو نظام ورثه المماليك عن الدولة الأيوبية، ثم طوره وزادوا عليه، وهي أن يمنح السلطان إقطاعاً يعيش من ريعه الأمراء والأجناد بمثابة دخل ثابت لهم، ولتجهيز أنفسهم ومماليكهم وقت الحرب. حيث كانت الأراضي توزع على الأمراء حسب منازلهم، ما بين قرية أو نصف قرية وهكذا^(٢).

فعند تعيين السلطان المؤيد شيخ الحمودي قام بتوزيع الأراضي الزراعية على هيئة إقطاعات على الأمراء وكتب لجماعة جوامك^(٣) لكل واحد في كل شهر مبلغ ألف درهم^(٤).

وفي حقيقة الأمر فإن الإقطاع في العصر المملوكي لم يكن إقطاع رقبة -أي أن يكون لصاحبه حق الامتلاك- إنما كان إقطاع استغلال بمعنى: أن يستغل

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٠، ص ١٧٤.

(٢) Poliak: Some Notes on the Feudalism system of the Mamelukes, P. 99.

(٣) جوامك: هي الرواتب العينية والأرزاق التي تصرف للمماليك، والجامكية لفظ مشتق من جامة بمعنى: اللباس، أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي (السحماوي: الثغر الباسم، ج ١، هامش ٣، ص ٣٩٧؛ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ، ص ٥١).

(٤) العيني: عقد الجمان، ص ١٣٥.

المقطع الأراضي طالها دائم في وظيفته ثم تؤول الأراضي مرة أخرى للدولة، وهو ما يُعرف: بإقطاع الارتفاق، وأن ينتقل الإقطاع بين الأمراء كلا حسب وضعه وحاله، فقد انتقل إقطاع الأمير يشبك الشعباني إلى الأمر حكيم العوضي، وإقطاع الأمير قربغا الشطوب للأمير قرقماش الإينالي^(١).

وبناء على ذلك فإن مباشري ديوان الجيش عليهم إعداد الجرائد التي يسجلون فيها أسماء الأمراء وأصحاب الإقطاعات على اختلاف رتبهم ومقادير إقطاعاتهم وهي ما تُسمى: الجريدة الجيشية، وكان يرمز أمام كل اسم إلى عبارة أرضه، وهو اصطلاح مالي قديم يعني: مقدار المربوط من الأموال على كل إقطاع من الأراضي^(٢). ومن هذا نفهم أنه كان يرمز أمام كل اسم إقطاع بالرمز لا بالتصريح بالاسم^(٣).

ويظهر هنا مدى الحذر الذي اتخذه المباشرون من الإشارة إلى العيرة بالرمز لا التصريح ضمانة للسرية، ولتجنب وقوع هذه الأوراق في يد عدو يستطيع من خلالها معرفة عدد الجيش ومدى قوته من خلال ما يملكه أفراد من إقطاعات^(٤).

أما عن ديوان الجيوش فإنه ينقسم قسمين: قسم يُعرف: بديوان الجيش المصري، به جميع ما يخص الديار المصرية، وقسم يُعرف: بديوان الجيش الشامي به جميع ما ينصب إلى أرض الشمال من الفرات إلى ديار بكر حتى أنه لا يفرط بهاذين

(١) ابن الصيرفي: نزهة المنفوس، ج ٢، ص ١١٥.

(٢) إبراهيم علي طرخان: النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي، القاهرة - مصر، ١٩٦٨م، ص ٤٩٨.

(٣) Poliak: Some Notes on the Feudalism system of the Mamelukes, P. 20.

(٤) إبراهيم علي طرخان: النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، ص ٤٩٨ - ٤٩٩.

الديوانين ثمن دائق - عملة صغيرة - والجيش تنقسم إلى أقسام أجناد الحلقة والبحرية والتُرُكمان والعرب والأكراد وغير ذلك^(١).

ومن البديهي أن يكون على رأس ديوان الجيش صاحب الجيش أو رئيس الجيش، نذكر منهم أنه في عهد السلطان الظاهر برقوق في ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م، استقر شمس الدين محمد بن عبد العزيز في ديوان الجيش، واستمر حتى وفاته في جماد الأول ٧٩٨هـ / فبراير ١٣٩٦م^(٢).

كذلك أنعم الظاهر برقوق في صفر ٧٩٢هـ / فبراير ١٣٩٠م، على القاضي فخر الدين بن مكانس صاحب ديوان الجيش واستقر في وظيفة ناظر الجيش عوضاً عن جمال الدين محمود العجمي بحكم توجهه إلى دِمَشَق^(٣).

أما في عهد السلطان الناصر فرج فإنه خلع على سعد الدين أبي الفرج بن بنت الملكي صاحب ديوان الجيش واستقر في نظر الجيش عوضاً عن سعد الدين إبراهيم بن غراب^(٤).

وفي عهد السلطان الظاهر جقمق، في ٨٤٨هـ / ١٤٤٤م، خُلع على القاضي عبد الغني بن عبد الله فخر الدين بن سعد الدين، صاحب ديوان الجيش^(٥).

(١) ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ١١٣.

(٢) المقرئزي: السلوك، ج ٣ ق ٢، ص ٧٠٦، ٧٩٦.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٥.

(٤) المقرئزي: السلوك، ج ٣ ق ٣، ص ١٠٦٨.

(٥) السخاوي: التبر المسبوك، ص ١٠٩.

الخاتمة

- ١ - من الوظائف العسكرية وظيفة نقيب الجيش، وهي وظيفة يرتكز عليها الجيش ونظامه.
- ٢ - على نقيب الجيش تلبية أمر السلطان ورجال الدولة فيما يأمر بإحضاره من المطلوبين.
- ٣ - ارتفعت مكانة نقيب الجيش في العصر المملوكي الأول وصار من يتولاها من أمراء العشرات ثم انحطت مكانتهم في العصر المملوكي الثاني فصار من يتولاها من أمراء الخمسة.
- ٤ - لنقيب الجيش عدة مهام واختصاصات مهمة في الدولة المملوكية.
- ٥ - أنشأ عدد من نقباء الجيش عدة منشآت معمارية داخل الديار المصرية.
- ٦ - استحدث السلطان صلاح الدين الأيوبي في الدولة الأيوبية منصب قاضي العسكر.
- ٧ - كان يحضر قاضي العسكر في دار العدل ومجلسه دون القضاة الأربعة.
- ٨ - منح السلاطين العديد من الهبات والعطايا لقاضي العسكر في مصر.
- ٩ - أُسند إلى قاضي العسكر عدة مناصب دينية بالإضافة لوظيفته في الجيش مثل: الحسبة، والتدريس في المدارس الشهيرة بـ مصر، والإشراف على بيت المال، والإفتاء في دار العدل.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م): "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، ١٩٨٣م، ٤ أجزاء.
- ابن أبيك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله: "كنز الدرر وجامع الغرر المعروف بالدر الفاخر في سيرة الملك الناصر"، تحقيق هانس روبرت رويمر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة-مصر، ١٩٦٠م، ج ٩.
- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م): "حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور"، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ١٩٩٠م، جزءان.
- _____: "الدليل الشافي على المنهل الصافي"، تحقيق فهد محمد شلتوت، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة-مصر، ١٩٩٨م، جزءان.
- _____: "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي"، تحقيق محمد أمين، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، ١٩٨٤م، جزءان.
- _____: "مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة"، نسخة مصورة من موقع الوراق، www.Alwarraq.com
- _____: "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، علق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ج ٩، ج ١٠، ج ١٢، ج ١٤.

- ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م): "تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه"، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٧٦م، ج ٢، ج ٣.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م): "رفع الأصر عن قضاة مصر"، تحقيق حامد عبد المجيد ومحمد المهدي أبو سنة ومحمد إسماعيل الصاوي، مراجعة إبراهيم الأبياري، د.ت، ج ٢.
- ابن حجي، أبو العباس أحمد بن حجي السعدي الحسباني (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م): "تاريخ ابن حجي"، ضبط النص وعلق عليه أبو يحيى عبد الله الكندري، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، جزءان.
- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدير العلائي (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م): "الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين"، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور مراجعة أحمد دراج، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢م.
- ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر (ت ٩٢٦هـ / ١٥٢٠م): "صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط"، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس- لبنان، ١٩٩٣م، جزءان.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م): "معيد النعم ومبيد النقم"، تحقيق محمد علي النجار وأبو زيد شلبي ومحمد أبو العيون، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- السحماوي، شمس الدين محمد (ت ٨٦٨هـ / ١٤٦٤م):
- "الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم المعروف بالمقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء للخالدي"، دراسة وتحقيق أشرف محمد أنس، مراجعة حسين

نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة- مصر، ٢٠٠٩م،
جزءان.

• السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبو بكر بن عثمان (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م):
"التبر المسبوك في ذيل السلوك"، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة-
مصر، د.ت.

• ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م): "زبدة كشف
الممالك وبيان الطرق والمسالك"، تصحيح بولس راويس، طبعة باريس،
المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤م.

• ابن شاهين الظاهري، زين الدين عبد الباسط بن خليل (ت ٩٢٠هـ / ١٥١٢م): "نيل
الأمل في ذيل الدول"، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت- لبنان، ٢٠٠٢م،
ج ١، ج ٢.

• ابن الصيرفي، الخطيب الجوهري علي بن داود (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م): "نزهة النفوس
والأبدان في تواريخ الزمان"، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة- مصر، ٤ أجزاء، ج ١، ١٩٧٠م، ج ٢، ١٩٧٣م.

• ابن طولون الصالحي، شمس الدين محمد الصالحي الدمشقي (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م):
"نقد الطالب لزغل المناصب"، حققه محمد أحمد دهمان وخالد محمد
دهمان، راجعه نزار أباظة، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ١٩٩١م.

• العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م): "التعريف
بالمصطلح الشريف"، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب
العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

• _____: "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، تحقيق دوريتاكر أفويسكي، طبعة
المركز الإسلامي للبحوث، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.

- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين بن يوسف بن محمود (ت ٣٥٥هـ / ٩٦٦م): "السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ الحمودي"، حققه فهيم محمد شلتوت، راجعه محمد مصطفى زيادة، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة - مصر، ١٩٩٨م.
- _____: "عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان"، تحقيق عبد الرازق الطنطاوي القرموط، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي المصري الحنفي (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م): "تاريخ ابن الفرات"، عني بتحرير نصه قسطنطين زريق، المطبعة الأميركية، بيروت - لبنان، ١٩٣٦م، مج ٩.
- القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م): "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، قدم له فوزي محمد أمين، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة - مصر، ٢٠٠٥م، ج ٤، ج ٥.
- ابن كنان الصالح، محمد بن عيسى (ت ١١٥٣هـ / ١٧٩٨م): "حدايق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين"، تحقيق عباس صباغ، دار النفائس، ١٩٩٠م.
- المقرئ، تقى الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م): "درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة"، تحقيق محمود الجليلي، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ج ٢.
- _____: "الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك"، تحقيق جمال الدين الشيال، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

- المقريري، تقى الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م): "السلوك لمعرفة دول الملوك"، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب، القاهرة- مصر، سنوات ١٩٧١، ١٩٧٢م، ج ٣، ج ٤.
- _____: "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريرية"، مكتبة الآداب، القاهرة- مصر، مجلدان بأربع أجزاء.
- مؤرخ مجهول معاصر لقايتهابي: "تاريخ الملك الأشرف قايتباي"، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية صيدا وبيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م): "نهاية الأرب في فنون الأدب"، تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٩٠م، ج ٦، ج ٣٠.
- اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م): "نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر"، تحقيق أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ثانيًا: المراجع العربية:
- إبراهيم علي طرخان: "النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى"، دار الكتاب العربي، القاهرة- مصر، ١٩٦٨م.
- أحمد عبد الرازق أحمد: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك- دراسة عن الرشوة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٧٩م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: "العصر المماليكي في مصر والشام"، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ١٩٩٤م.

- عبد المنعم ماجد: "نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر دراسة شاملة في نظم البلاط ورسومه"، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة- مصر، ١٩٨٢م، جزءان.

- محمد أحمد دهمان: "معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي"، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، ١٩٩٠م.

ثالثًا: المراجع العربية:

- ل م ماير: "الملابس المملوكية"، ترجمة صالح الشيتي، مراجعة عبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، د. ت.

رابعًا: المراجع الأجنبية:

- Aylon: Studies on the Structure of the Mamluk Army in Bulletin of School of Orient and African Studies, (Gsoos, III, 1954).
- Dozy: Supplement aux dictionnaires Arabes, (Leiden, Brill, 1967).
- Poliak: Some Notes on the Feudalism system of the Mamelukes, (London, 1937).